

الدلالات الاجتماعية للأمثال الشعبية

الأستاذ الدكتور: علي بولنوار

قسم اللغة العربية

المدرسة العليا للأساتذة بوسعادة (الجزائر)

الأستاذ الدكتور: مصطفى البشير قط

قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

جامعة المسيلة (الجزائر)

Résumé:

Les proverbes populaires ont donné une idée globale de la culture de l'individu populaire, ils ont contenu sa vision claire à la vie. la recherche qui touche le proverbe de la population c'est une recherche qui touche la vie d'une grande partie de la population quelques soient leurs activités, leurs comportements, leurs mœurs et leurs traditions. De ce fait, le proverbe populaire en exposant les détails avec calme et modestie aborde ces sujets, les explique et donne une image vivante de leurs nature.

ملخص:

قدمت الأمثال الشعبية صيغة شاملة لثقافة الإنسان الشعبي واحتوت نظرتة إلى الحياة بوضوح. والبحث في المثل العام إنما هو بحث في حياة فئات العامة من الناس على اختلاف نشاطهم وسلوكهم في تعاملهم وأخلاقهم وعاداتهم. من هنا، فإن المثل الشعبي من خلال الجزئيات الصغيرة التي يعرضها في تواضع وهدوء يناقش هذه المواضيع ويفسرها ويعطي صورة حية لطبيعتها.

من الحقائق المؤكدة أن تراث أي مجتمع من المجتمعات هو انعكاس للحياة الاجتماعية في الماضي مثلما هو صوت الحاضر المدوي وصدى له، وفي ضوء هذه الحقيقة يمكن القول إن إلقاء نظرة شاملة على مكونات هذا التراث وعناصره المختلفة تعطينا صورة واضحة عن بنية المجتمع وعن نسقه الثقافي بشكل عام.

التراث الشعبي مركب خصب من الثقافة الروحية والمادية للشعب. وتناوله كحياة ودراسته كتعبير هو دراسة للشعب وكشف عن شخصيته. وفي ضوء هذه المعطيات فقد ظهرت اهتمامات وطنية وقومية في معظم شعوب العالم بجمع التراث وتصنيفه ودراسته وقد تمثلت هذه الاهتمامات في جزء كبير منها في تأسيس متاحف اثنوغرافية وطنية أو قومية تشتمل على كل ما أنجزه أفراد هذا المجتمع أو ذاك من عناصر ثقافية مادية ولا مادية، وذلك بهدف إحياء هذا التراث والمحافظة عليه وصونه من الضياع والاندثار من جهة، وليكون هذا التراث علامة بارزة على حيوية هذا المجتمع ودليلا حسيبا على قدرة أفرادها على مواجهة تحديات وجودهم من جهة أخرى.

بهذا الاعتبار تتحول المتاحف إلى ورشة أو مصنع للأفكار التي بها تنتعش المشاريع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في البلاد، وبها يتقدم البحث العلمي خطوات إلى الأمام، وبها يتم نشر ثقافتنا وقيمنا الحضارية، والتعريف بقضايا القومية، وبها أخيرا يتم التعارف والتعاون والتقارب بين الأمم والشعوب.

و بما أن التراث الشعبي مادة واسعة ومتشعبة اخترنا الحديث عن الأمثال لشعبية، التي تعد صيغة شاملة لثقافة الإنسان الشعبي واحتوت نظراته إلى الحياة بوضوح. ستركز في هذا البحث على إظهار مدى فعالية هذا الفن معتمدا جمع العديد من الامتثال الشعبية التي تعكس توجهي. سوف أحاول أن أأنوع في مجالات الحياة وجوانبها، اعتمدت التنوع في المواضيع التي عالجهما المثل لأبين مدى عمقه وفعاليته في المجتمع، فهو يصف الظاهرة، يعالجها ويقدم الحلول.

البحث في المثل العام إنما هو بحث في حياة فئات العامة من الناس على اختلاف نشاطهم وسلوكهم في تعاملهم وأخلاقهم وعاداتهم... إن المثل من خلال الجزئيات الصغيرة التي يعرضها في تواضع وهدهد يناقش هذه المواضيع ويفسرها ويعطي صورة حية لطبيعتها ومن هنا يتبين أن الأمثال قد استمدت مادتها من المجتمع فهي بذلك احتوت قيمه ومعتقداته وحقائقه وقدمتها من بعد للفرد حكمة يسترشد بها في حياته، لذلك فإن ارتباطها بالمجتمع ارتباطا وثيق. ويمكن أن نستوضح صورة المجتمع، قيمه ومعتقداته ومثله من خلال الأمثال، وهذه القيم والمعتقدات والمثل هي روافد حكمة الإنسان الشعبي في الحياة.

و هذا المفهوم يستطيع أن يفسر أهمية الاتجاه نحو دراسة الأمثال التي تعد دراسة للقطاعات الشعبية صاحبة الجهد الحقيقي في بناء الدول.

والواقع أن دراسة القطاعات الشعبية من خلال نتائجها الفكري تعد خطوة جديدة في مجال الدراسات الإنسانية تفرضها ضرورات إنسانية واجتماعية وعلمية.

إن المثل الشعبي يغذي الفكر السائد للطبقات المكونة للمجتمع من خلال الخبرات والتجارب التي مرت بها وصاغتها في تلك العبارات القصيرة التي تلخص حدثاً أو تجربة فتحصيه وموقف الإنسان من هذا الحدث أو هذه التجربة في أسلوب غير شخصي وأنه تعبير شعبي يأخذ شكل الحكمة التي تنبني على تجربة أو خبرة مشتركة.

تؤدي العلاقات الاقتصادية الجديدة التي أحدثها الشكل الجديد للإنتاج إلى خلق أشكال جديدة من التصرفات في عناصر البناء الكلي من فترة إلى أخرى فتبرز مظاهر جديدة وتختفي أخرى ويبقى بعض منها من فترة إلى أخرى حيث تؤلف هذه العناصر التقاليد في مجال الحضارة.

يتضح من هذا أن هناك أساليب ثقافية يستطيع بواسطتها الإنسان التعبير عن نفسه، وإمكان هذه الأساليب الحفاظ على قيمة استخدامها التي تحققت عبر الأزمان وذلك بسبب امتداد جذورها عميقاً في المجتمع. وإمكانها أن تتخذ بعداً جديداً بمرور الزمن وستتخذها الأجيال الجديدة ليس بسبب قيمة استخدامها الأصلية، بل بسبب قيمتها الثقافية العالية.

وإمكاننا القول بأن التنمية تنشأ من الأمثال الشعبية بسبب قيمة المثل الاتصالية عند أفراد تلك المجموعة، وما دامت جميع وسائل الاتصال توحد وتقوي الاهتمامات المشتركة لدى فردين في المجتمع فإننا نستطيع أن نجد هناك أهمية اجتماعية وتاريخية وسياسية لهذه الإبداعات التي تشكل نتاجاً تراثياً. يربط التراث بين الأجيال المختلفة ويوجد اهتماماتها حيث يربط بين الأفراد الذين يعيشون في مكان واحد وينتمون إلى مناطق مختلفة. وهنا تكمن الأهمية التاريخية للتراث، فهو يزيل حواجز الزمن ويشكل كيانا قومياً وثقافياً معيناً ويصبح جزءاً من الكيان الاجتماعي للمجتمع معين.

ويتخذ المثل الشعبي طابعاً أخلاقياً، فهو يدعو إلى قيم الجماعة وإلى تكريس مثلهم ونهجهم الأخلاقي ويمكننا رصد عناصر هذا النهج الأخلاقي من خلال الأمثال المتوفرة عن جماعة ما أو بيئة شعبية معينة. و يبدو المثل مادة يسهل التعرف من خلالها على كثير من العادات والتقاليد التي اعتادت الجماعة على سلوكها وممارستها.

مما لا شك فيه أن الأدب نتاج خالق فرد، كما هو نتاج الحوار المتبادل بين كثير من الأوضاع الثقافية والسياسية، بل والاجتماعية. إنه نوع من الصراع الخمي بين الايدولوجيا الشخصية، والايولوجيا الجماعية للشعب ما.

فكما هو تعبير ذاتي، يعد بالمائل تعبيرا اجتماعيا، لذا يوصف في كثير من الأحيان بالظاهرة الاجتماعية، يلم بجميع الختميات التي تفرضها الظروف الاجتماعية، لذلك فهو لا يولد إلا من رحم الصراع القائم في عمق النفس بين ما هو ذاتي وما هو جماعي.

وبما أن الإنسان يخضع دائما في تفكيره وشعوره لسلطة المجتمع فهو في شد وجذب بين السلوك الشعبي والسلوك غير الشعبي. ومن الرموز الأدبية للسلوك الشعبي نجد الأمثال الشعبية، التي تعد بحق سرا من أسرار الإلهام الشعبي وتعبيرا حيا عن المكونات والطاقت الهائلة التي تزخر بها الشعوب. فبواسطتها يتم التوصل إلى أخلاق الأمم وأطوارها، ومنها تؤخذ حالتها الاجتماعية والإخبارية. لقد عبرت بصدق عن حقائق الحياة العامة، وبخاصة ما يتعلق بنمط العلاقات والتفاعلات الاجتماعية بين الأفراد والمجتمعات.

فرغم قصر المثل الشعبي إلا أنه لفت انتباه الدارسين وألوه عناية خاصة، فراحوا يبحثون عن سر فلسفته، الجمالية والاجتماعية والسياسية وما إلى ذلك. وقد تفاوتت النظرة إليه من حيث شكله ووظيفته. يرى عبد الرحمان التكريتي بأن الأمثال تعد خلاصة التجارب وسجل الوقائع ومصدر التراث، بل فهو مرآة الأمم التي تعكس واقعها. يقول ((أمثال كل أمة خلاصة تجاربها ومستودع خبراتها ومنازل حكمها ومرجع عاداتها وسجل وقائعها وترجمان أحوالها ومصدر تراثها ومتنفس أحزانها... فهي مرآة الأمة تعكس واقعها الفكري والاجتماعي بصفاء ووضوح))1.

بينما يرى حسين الجليلي بأن الأمثال خلاصة حكاية أو حادثة ذهبت وبقي هو رمزها كما قد يكون قولاً يأخذ طابع التعليم والوعظ والإرشاد دون أن يرتبط بقصة أو حكاية. يقول ((الذي أعتقد أن المثل: خلاصة حكاية قيلت أو حادثة وقعت في وقت من الأوقات، فذهبت وبقي المثل رمزا لتلك الحكاية أو موجزا لحوادثها، وقد يكون المثل تعليميا أو وعظيا أو إرشاديا، ولم يرتبط بقصة أو حكاية))2.

أما أحمد أمين، فالأمثال الشعبية تمثل عنده ((نوعا من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه وجودة الكناية ولا تكاد تخلو منه أمة من الأمم ومزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب))3.

وعند باحث آخر نجد الأمثال حياة كاملة، وفضاء يحوي كل الفنون، إلى جانب كونه صورة من البلاغة العربية بتركيبته الفنية، وفي هذا المعنى يقول فوزي رسول ((إن الأمثال، بحق، دنيا كاملة: حكمة وأحلام، حساسة ووصف، سياسة واقتصاد وقواعد صحية واجتماعية، هي صور من البلاغة العربية، وهي بعد ذلك حياة وما فيها من هموم وشجون))4.

ومن الباحثين الغربيين نعرض موقفين لفريدريك زايلر والكسندر كراب. فالمثل عند الأول قول يتداوله الشعب، يتميز بطابع تعليمي وبشكل أدبي، يقول، المثل هو ((القول الجاري على ألسنة الشعب الذي يتميز بطابع تعليمي وشكل أدبي مكتمل يسمو على أشكال التعبير المألوفة))5. أما كراب فالمثل عنده يمثل أسلوباً ((من أساليب الفولكلور العريقة تردّد خلاصة التجربة اليومية وأن الإبداع في صياغة الأمثال يكمن في إبداع أفراد في الأصل، ولكن جمهرة الشعب والعامّة هم الذين أذاعوها ورّوجوها وتواتروها))6.

رغم هذه - الجزئية - في النظرة إلى المثل الشعبي، إلا أنه في النهاية لا يخرج عن كونه صورة حية ناطقة لطبيعة الشعب، وسجل ثقافي حافل بكل أنماط الحياة وتفترعها وأنشطتها المختلفة. وهذا ما يفسر أهميته في مجال الدراسات الاجتماعية باعتباره وثيقة اجتماعية، كما في مجال الدراسات الأدبية باعتباره من ألوان الفن الأدبي. و حين تتأزّر الدراسات الاجتماعية والأدبية، فإن الصورة الشعبية تبدو زاهية ذات ألوان حية صادقة.

وما يزيد من سحر الأمثال الشعبية أنها تصاغ بلغة متميزة. وهي مسجوعة في أغلب الأحيان، وهذا ما يجعلها أسهل للحفظ ومن ثمة أكثر تداولاً وانتشاراً وأسرع إلى التغلغل في أعماق الإنسان الشعبي.

إلى جانب ذلك، فالمثل يمتاز بألفاظه القليلة التي تحمل الكثير من المعاني وتطوي الكثير من التفاصيل، وربما هذا الذي دفع أبا هلال العسكري للقول ((ولما عرفت العرب أن الأمثال تنصرف في أكثر وجوه الكلام. وتدخل في جلّ أساليب القول أخرجوها في أقواها من الألفاظ، ليخف استعمالها، ويسهل تداولها، فهي من أجلّ الكلام وأنبه، وأشرفه وأفضله، لقلّة ألفاظها وكثرة معانيها ويسر مؤتتها على المتكلّم، مع كبير غايتها، وجسيم عائدها. ومن عجائبها إنها مع إيجازها تعمل عمل الإطناب ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب، والحفظ موكل بما راع من اللفظ وندر من المعنى))7. وكما تفضّل فوزي رسول سابقاً، فإن الأمثال الشعبية دنيا كاملة، حكمة وحماة واقتصاد وصحة واجتماع. غير أن الإلمام بهذه الجوانب في هذه المناسبة أمر صعب، لذلك قصرنا بحثنا على جانب واحد، يتمثل في الدلالات الاجتماعية.

وأعتقد أن إلقاء نظرة - ولو بسيطة - على الدلالات الاجتماعية لهذا الجنس الأدبي تعطينا صورة واضحة عن بنية المجتمع وعن نسقه الثقافي بشكل عام. والوقوف عند الاختلافات الحاصلة بين نمط وآخر من الأمثال يكشف لنا عن دينامية هذا المجتمع أو ذاك، وعن حجم استجابة أفرادها لعناصر التجديد وقوى التغيير في كل مرحلة من مراحلها. لنصل في الأخير إلى جانب من العلاقة النوعية بين الأدب والمجتمع.

الناظر في الأمثال الشعبية الجزائرية دون شك أنه سيخرج بجملة من القواعد السلوكية التي تنبئ عن طبيعة هذا الشعب.

فلو أخذنا المثل القائل (لِحْمَازِ أَحْمَارِي وَنَا تَرْكَبُ مَنْ لَوْرَه) يتسرب إلى ذواتنا الإشارة إلى التمايز الطبقي. إننا نحس بوجود فئتين في المجتمع، فئة تشقى وتتعب وتكد لأجل انتفاع فئة أخرى. فهناك حالة آلا عدل، آلا توازن، لذا جاء هذا المثل تنفيسا للشعب جراء تسلط فئة على أخرى. ومن هذا المثل نستطيع أن نتصور الحالة الاجتماعية التي يعيشها الناس. و نستطيع أيضا بناء فكرة عن إحساسهم بما هم عليه، فلولا وعيهم لحالة آلا توازن والاستغلال لما أمكن أن ينطلق هذا المثل على ألسنتهم. وهذا الذي أهل الأمثال الشعبية أن تصبح مداخل أساسية لدراسة أحوال الشعوب وأنماط معيشتها وطرق تفكيرها واتجاهات تقدمها الحضاري. من هنا فالأمثال مصدر مهم جدا للمؤرخ الأخلاقي والاجتماعي، فلو نظرنا في الأمثال التي قيلت في العلاقة بين الأم و ابنتها، لاستطعنا تحديد طبيعة تلك العلاقة. من هذه الأمثال نذكر:

قَلْبُ الْبُرْمَةِ عَلَى فُئْمَا تُخْرَجُ الْبِنْتُ لُفْمَا.
الْبِنَاتُ عَلَى لُمَاتٍ أَوْلُقْلُمَةً عَلَى السَّادَاتِ.
مَا يُشْكُرُ لِعُرُوسَةٍ غَيْرَ أُمِّهَا وَلَا فُئْمَا.
شُوفْ لُفْمَا وَخُطْبُ بِنْتِيَا.

فهذا الإجماع على تبعية البنت لأُمها يعطينا فرصة لمحاولة توجيه سلوك البنت وتربيتها التربية الحسنة، إن نحن تحكمتنا في سلوك الأم. كما يعطينا من جهة أخرى توجيها لاختيار الزوجة المناسبة، وبناء أسرة فاضلة، بل ومجتمع فاضل. وبهذه الكيفية يصبح المثل مادة نتعرف من خلالها على كثير من السلوكيات الحياتية، وسلاحا لمواجهة الانحرافات الاجتماعية، إنه سياق من القيم يضربه المجتمع من حوله لكي يحمي نفسه. دون شك أن هذا يدفعنا للحديث عن الزواج باعتباره النواة الأولى لتكوين المجتمع، ويحدد العلاقة بين الرجل والمرأة، فكيف عالجت الأمثال هذه الظاهرة، وكيف نسجت خيوطها؟

الزواج علاقة أبدية وشراكة متواصلة بين اثنين للتعاون ومواجهة أعباء الحياة ومتاعبها. تقول الأمثال:

- الزواج:

زُؤَاخْ لَيْلَةَ تَدْيِيرُو عَامْ.
كَلَّشْ بِالْتَّظْرُ غَيْرَ الزُّؤَاخِ وَالْبِنَاتُ بِالْقَدْرِ.
فَعَادُ السَّلَامَةِ وَلَا زُؤَاخِ النَّدَامَةِ.

الحُرْتُ بِالرِّزَى وَالزَّوْجَ الرِّضَى .
 الزَّوْجُ نَزْوَجُكَ وَالْهِنَا مَانَصَمَنْلَكُش .
 زَوْجَتَهَا بَاشْ تَهْتَى مِنْ بَلَاهَا جَابَتْ أَرْبَعَةٌ مَعَهَا .
 يُمْدُونِي لِقَاضِيَيْنِ لَعْمَارَ وَقُولُو لِي يَا لِمَنْحُوسَةٍ .
 حُودُ طَرِيقِ الْعَافِيَةِ وَلَوْ ذَايِرَةٌ ، وَحُودُ بَنَتْ الْعَمَّ وَلَوْ بَابِرَةٌ .
 زِينَتَا فِي ذَفِيفَتَنَا .
 قُصِّ الْمَحَمَّ عَلَى الْمَفْصَلِ وَدِي بَنَتْ الْأَصْلُ .
 حُودُ بَنَتْ النَّاسَ إِذَا مَا لَقِيتَ لَهْنَا تَلْقَى لُخْلَاصُ .
 يَيْتُ الرِّجَالُ خَيْرٌ مِنْ يَيْتِ الْمَالِ .
 الْحِزَّةُ إِذَا صَبْرَتْ دَارَهَا عَمَّرَتْ .

النظر في هذه الأمثال يمنحنا الوقوف على مدى عمق الفكر الجمعي الشعبي، فالزواج رغم أنه يتم في وقت زمني قصير إلا انه يحتاج إلى تدبر طويل نظرا لما يترتب عليه من مشاكل تحدث بين الزوجين، وعليه ينبغي أن نختار المرأة الأصيلة التي تتحلّى بالصبر والحكمة للحفاظ على بيتها وأولادها. كما يفهم من هذه الأمثال الإشارة إلى اختيار الزوجة القوية تدعما لفكرة الحفاظ على تماسك الأسر والعائلات.

ونحن نتحدّث عن المرأة نشير إلى أن هناك أمثالا شعبية تشير إلى بعض القيم الخاطئة في حق المرأة، من هذه الأمثال نذكر:

شَاوَرُ مَرْتَكُ أَوْ خَالَفُ رَايَهَا .
 مَعْرِفَةُ الرِّجَالِ أَكْثُورُ ، وَمَعْرِفَةُ النِّسَاءِ أَنْجَاسَةٌ .
 إِلَيَّ أَيَحْوَسُ أَعْلَى الْحِرَابِ إِكْثَرُ مِنَ النِّسَاءِ أَوْ لِكَلَابِ .
 كَيْتَةُ النِّسَاءِ مَا تَنْتَسِي .
 بَاثُ لَيْلَةٍ مَعَ اخْوَاتَا تُو طَلَّقِي مَرْتُو .
 تَبْكِي لَمَرَهُ قَبْلَ الزَّوْجِ ، وَالرَّجُلُ يَبْكِي بَعْدَهُ .
 تُحْلَفُو فِيكَ النِّسَاءُ بَاثُ قَاعِدُ ، وَإِذَا تَحْلَفُو فِيكَ الرِّجَالُ بَاثُ رَافِدُ .
 إِذَا بَكَى الرَّجُلُ رَاهُ وَدَّرَ حَاجَةً ، إِذَا بَكَتْ لَمْرَاهَا تَحْوَسُ عَلَى حَاجَةٍ .
 الرِّجَالُ تَهْدِمُ الْجِبَالَ وَالنِّسَاءُ تَهْدِمُ الرِّجَالَ .
 شُبُوبُ الرِّجَالِ فِي عَقُولِهَا وَعَقُولُ النِّسَاءِ فِي شُبُوبِهَا .

الذي يستشف من هذه الأمثال أن المرأة مصدر لكثير من المصائب والمهالك - إن لم نقل كلها - فهي توصف بقلة التدبر والحكمة، بالنجاسة والخراب، بالفتننة والهلاك. وليس أكثر من أنها صتقت مع الكلاب في مستوى واحد.

دون شك أن هذه الصفات تقلل من قيمة المرأة وتحقرها، ففيها ظلم وتعتسف واضطهاد. المرأة هنا مقترنة بالخطيئة، وكأنها مخلوق دون فائدة، وهذه سخرية لا يقبلها المنطق. وتتنافى مع تعاليم الشريعة السمحاء، فالإسلام كرم المرأة ومجدها، منحها مكانة مشرفة ولم يفرق بينها وبين الرجل، إنها الأم والابنة، الأخت والزوجة، العمّة والحالة الجدة والحبيبة، وما إلى ذلك من الصفات. فمن أين للرجل إذا أن يطعن فيها ويسلبها حقها. إنها نظرة ضيقة ولا تعبر إلا على رأي أفراد دفعتم تجاربهم الشخصية لأن يصنعوا مثل هذه الأمثال. وهذا يدفعنا للقول بأن الرؤى ليست حقائق مطلقة في عموم الأحوال، ذلك أن الذي يصلح في فترة قد لا يصلح في فترة أخرى، وما يطبق على مجتمع قد لا يطبق على مجتمع آخر، إنها رؤى لا تتحقق في كل زمان ومكان. فالأسس والمفاهيم تتغير باستمرار نتيجة للتغيرات الثقافية التاريخية والاجتماعية.

ولو نظرنا إلى الأمثال التي تتحدث عن الجار لاستطعنا أن نقف عند الكثير من المعاني ذات الدلالات الاجتماعية التي صاغتها الذاكرة الشعبية وحافظت عليها تعاليم لا يمكن للفرد أن يخرج عنها.

- الجار:

جارك لقریب خیر من حوک لبُعید.

الجار قبل اللّار.

جارك خذاك إذا ما شاف وجهك يشوف قفاك.

اعقب على جيعان امانعقبش عليه عزيان.

دير كيمنا ادير جارك ولا حول باب دارك.

اللي عيشو في عشيرو، يحكم حمازو ويشيرو.

العشرة فتاشة.

العشرة ماتون إلا على قليل الأضل.

عش دارك امانسرق جارك.

هذه الأمثال عاجت طبيعة العلاقة بين الحيوان وبينت كيف أن المجتمع كان واعيا بأهمية هذه العلاقة ، التي يباركها الدين الإسلامي ويشجع عليها فلقد قال نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام ((ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)) 8. من هنا نفهم بأنه على الشخص اختيار الجار

قبل شراء بيته ، فتلك العلاقة اللصيقة بين الجيران هي التي ستحدد مدى ارتياح الشخص ، فجار السوء الذي لا يقدر قيمة العشرة ولا يراعي حسن الجوار لا ينتج عنه سوى قبيح الفعل ، لذا ينبغي الابتعاد عنه ، وفي هذا المعنى قالو- كي طاب جنانو عادى جيرانو- أي عندما نضجت غلة بستانه عادى جيرانه كي لا يكرهم ، وهذا يدل على اللؤم والبخل. فهذه الأمثال عكست المكانة الكبيرة للجار ودلت على وجوب التواصل معه والحفاظ على العلاقة نظيفة معه.

ومن المواضيع الاجتماعية الأخرى التي طرحتها الأمثال الشعبية،

- الكسل، كقولهم:

طَوِيلَةٌ وَعَرِيضَةٌ وَفِي الْيَدَيْنِ أَمْرِيضَةٌ.

أَرْبَعُ نُسَاءٍ وَالقَرْبَةُ يَا بُنْتَةَ.

رُوحٌ حُرَّائِرٌ عَلَى رُوحِ فَطَّائِرٍ.

لَا لِأَمْلِيحَةٍ أَوْ رَاذِهَاتِ رِيحِ الثَّقَاسِ.

سَيِّدِي أَمْلِيحٌ أَزَادُو لَهُوَا وَالتَّرِيحُ.

الرَّاقِدُ مَا أَعْطَاثُو أُمُو كَسْرَهُ.

الْبَيِّ حَانُوَهَا ذَرَعِيهَا تُقُولُ بَيَّا السُّحُورُ.

الْفَمُ مُسْرَكٌ وَالْيَدَيْنِ مُكْسِرِينَ.

تَوَضُّوْ وَلَا دَبَّارُ.

وبما أن الأمثال لا تصف الظاهرة فحسب، راحت تقدم الحلول، وتمثل ذلك في الأمثال

الآتية:

أُضْرِبُ أَذْرَاعَكَ تَأْكُلُ لِمَسْقِي.

الْخِدْمَةُ أَمْعُ النُّصَارَى أَوْ لَا لِقَعَادُ أَحْسَارَةَ.

الْحُرُّ حُرٌّ وَالْخِدْمَةُ مَا أَنْتَصِرُ.

خِدْمَةُ الْيَدَيْنِ خَيْرٌ مِنْ وَرَثِ الْجَدِيدِينَ.

خَدِيمِ الرِّجَالِ سَيِّدُهُمْ.

ترصد الأمثال هنا الظاهرة وتعالجها، لذا فهي من الوسائل الفعالة في المجتمع في توجيه الأفراد

وتعريفهم بالقواعد السلوكية المستحبة التي ينبغي إتباعها، والقواعد السلوكية التي ينبغي الابتعاد عنها.

وكما عالجت الأمثال الشعبية الكسل، عالجت أيضا، الطمع والتناق.

- الطمع:

الطَّمَاعُ أَبَاثُ سَارِي.

الطَّمَاعُ يُمُوتُ عَامَ الشَّرِّ.
 الطَّمَعُ يَفْسُدُ الطَّبِيعَ.
 أَذْكَرُ الْمَاءِ إِبَانُ الْعَطْشَانِ.
 كَشَّافُ الصَّيْفَةِ طَلَّقَ مُوَلَاتِ الدَّارِ.
 عَلَى كَرَشُو خَلَا عَزْشُو.
 جَا يَسْعَهُ وَدَّرَ تَسْعَهُ.
 جَا يَشْفُقُ تَعَشَى مَرَّتَيْنِ.
 مُولُ الْخَبْرَةِ طَامِعٌ فِي مُولِ الْجَدِيقِ.
 عَجْبُكَ رُخْصُوكِ شَعْبَةٌ حَلَّ نَصُوكِ.
 اعْطِيبَالِ الشَّحْمَةِ لَاحٌ يَدٌ لِلْخَلِيعِ.
 اعْرَضْتَ بِنْتِي جَا رَجُلَهَا.
 أَذْكَرُ الْمَاءِ إِبَانُ الْعَطْشَانِ.
 بَايْتُ امْتَعَدِي اطْمَاعٌ فِي مَا يَدِي.
 جِبْنَاهُ يَأْكُلُ لُقْرِيكَ ، وَلَنَا شُرِيكَ.
 اللَّيِّ عَوَّلُ عَلَى حُمِيرْتِ جِيرَانُو بَاثٌ بِالشَّرِّ.
 جِبْنَاهَا شَقْفَةٌ ، وَأَلَاثُ طَاجِرِينَ.
 حَايَزٌ فِي لُكْسَا وَدَوَّرَ عَلَى رُوحِ نَسَاءِ.
 دَخَلْتَاهُمْ يُشْرَبُو الرَّايبَ قَالُو وَرَاهُ حَقْنًا فِي الرُّزَايبِ.
 كَشَّافُ فَمَحِ النَّاسِ سَيِّخُ شَعِيرُو.
 شَافَتْ الصَّيْفُ سَمَحَتْ فِي مُوَلَا بَيْتَهَا.

وفي النفاق:

يَأْكُلُ أَمْعَ الذَّيْبِ أُوَيْبِكِي أَمْعَ الرَّاعِيِ .
 يَنْقُرُ الدَّابُّ أُوَيْدَرَقُ بِالْبَرْدَعَةِ .
 يَأْكُلُ فِي الْقَلَّةِ وَسَبُّ فِي الْمَلَّةِ .
 لَأَلَا أَعْدُوَّةٌ أَوْ حَاجِبَةٌ حُلُوَّةٌ .
 فِي الْوُجُوهِ امْرَأِيَا وَفِي الذُّبُولِ امْقَاصُ .
 فِي الْوُجُوهِ مَرْحَبًا وَفِي الظُّهْرِ مَثْدَبًا .
 شَاتِي اللَّبْنِ وَدَرَقِي فَالطَّاسِ .

شَعْرَةٌ فِي عَيْنِي شَافَهَا وَحَسْبَةٌ فِي عَيْنُو مَا شَافَهَا.
وَأَشْ كَذَّبُوا لَيْلَةَ خَطْبُوبِ.
الْحَطَّابُ رَطَّابٌ.

هذه الأمثال تعبير حي عن السلوكيات الخاطئة التي تنهش بنية المجتمع، كما هي دليل واضح تعيش مع الشخص مرات عديدة في يومه ويتسرب إلى دقائق وكبائر حياته، تطرح وتناقش وتفسر. فالأمثال بمعالجتها لهذه المواضيع تكون قد قدمت سجلا شاملا عن ثقافة الإنسان الشعبي، واحتوت نظرتة إلى الحياة بكل صدق ووضوح. ومن الكسل والطمع والنفاق إلى البخل والمكر، الخداع والحسد، العناد والاستهزاء وتحمل المسؤولية، الأصالة والمحبة.
- أمثال البخل:

الْقَرُوحُ مَا يَبْيَضُّ.
حَيَّاطٌ أَوْ مَشْتَاتٌ أَمْسَلَةٌ.
طَبَّاحٌ أَوْ سَنَائِي مَرْقَةٌ.
جَرَّازٌ وَعَسَّاهُ لُقْتُ.
الْقَطُّ مَا إِمْدُ الشَّحْمَةِ.
فِي رَجُلِي وَلَا فِي صَبَاطِي لَحْمٌ.
جَبِيو فِي ظَهْرُو.
الصَّدَقَةُ مَا تَخْرُجُ مِنْ الْجَبْسِ.
أَخْدَمُ يَا الشَّاقِي لِلْبَاقِي.

- أمثال المكر والخداع:

الَّذِي خَفَرَ حُفْرَةَ الْخُوَّةِ طَلَحَ فِيهَا.
إِلَّيَّ بَاعَكَ بِالْقَوْلِ بَيْعُهُ بِقَشُورِهِ.
جَلِدُو مَا تَقَرَّرَ فِيهِ دُبَاعَةٌ.
الْحَادِعُ مَا وَادَعُ.
مَا يُعْجِبُكَ تَوَارِ الدَّفْلَةِ فِي الْوِدَانِ دَائِرِ اضْلَائِلٍ، أَوْ مَا يُعْجِبُكَ زَيْنُ الطُّفْلَةِ حَتَّى أَنْشُوفَ
لِفُعَائِلِ.
الرِّزِينَ أَوْقَلْتُ الدِّينِ.

- أمثال الحسد:

الرَّجَالَةَ تَكْسِبُ، والتَّائِسُ تَحْسِبُ.
عَانِدٌ إِلَّا تَحْسَدُ.

- أمثال العناد:

قَالَ الْعِظَمُ أَنَا يَا بَسْ، قَالُوا الْكَلْبُ أَنَا فَرَعُ أَشْغَلُ.
مُعْزَةٌ وَلَوْ طَارَتْ.
أَنْتِ اعْلِيكَ أَبْتَرَفَائِي الْكُسْرَى، وَأَنَا أَعْلِي بِالْمَاكَلَةِ مَرْتَيْنِ.

- أمثال الاستهزاء:

الْمَذْبُوحَةُ تَضْحَكُ عَلَى الْمَسْلُوحَةِ أَوْ لَمَقُطَعَةٌ تَضْحَكُ أَعْلَيْهِمْ فِي رُوحِ.
وَشْ مِنْ كَرَشِ ثَوْلِدِ الذَّرَارِيِّ.
فَدُ التَّمَلَّةُ أَوْ يُعْمَلُ عَمَلَةً.
الطُّولُ وَالْجِيَاخُ.

بُنْتُ السَّبْعُ تَبْكِي ، وَبُنْتُ الذَّيْبُ تَسْكُتُ فِيهَا.
دُخَانُكَ عَمَّانِي وَطَعَامُكَ مَا خَانِي.
الرَّجُلُ مَحْجُوبٌ وَالْمَرْأَةُ تُتُوبُ.
رَاخُ لِبَلَادِ النِّسَاءِ وَجَابُ عَجُوزُ.
رَاخُ اجِيبُ فِي اخْتُو عَيْدَ عِنْدَهَا.
رَاخُ يَعْرِضُ بَاثُ.
الْفَقُوسُ يَضْحَكُ عَلَى الْمَوْسُ.

- تَحْقَلُ الْمَسْؤُولِيَّةُ.

إِلَيَّ صَرَ بَاتُوا يَدُهُ مَا بَكَ.
عَقَدْتَهَا بِيَدِيكَ، حَلَهَا ابْسَيْتِيكَ.
صَلَاةُ الْقِيَادِ الْجَمْعَةُ وَالْغِيَادُ.

- أمثال - الأصاله.

مَا يَبْقَى فِي الْوَادِ غَيْرَ أَحْجَارِهِ.
كُلُّ طَيْرٍ يَلْقَى بَلْقَاهُ، وَكُلُّ مَاءٍ يَسْبِغُ فِي مَجْرَاهُ.
الْجَدِيدُ حَيْثُ ، وَالْقَدِيمُ لَا تَفْرَطُ فِيهِ.
ذَلِكَ الْعَرْفُ مِنْ ذِيكَ السَّجْرَةِ.

- أمثال المحبة.

إِلَيَّ انْحُبُّوا قَابِلُوا.
 لِلْبَيْغِيَنِ يَفْطَعُ وَجِينِي.
 حَجْرَهُ مِنْ عِنْدِ الْحَيْبِ تَفَاحَةً.
 إِلَيَّ ابْعَاةَ قَلْبِي مَا يَأْكُلُ كُلِّي.
 الْحُبُّ يُطِيخُ عَلَيَّ عُودُ يَابَسِ.
 الْحُبُّ أَعْمَى.

اللي حب لفسل يصبر لقرىض النحل ، واللي حب الورد يصبر لشوكو، واللي حب الرين
 يصبر لغداو.

كُلُّ شَيْءٍ السَّيْفِ إِلَّا الْحُبُّ الْكَيْفُ.
 الْحُبُّ مِنَ الشَّوَارِبِ وَالْقَلْبُ هَارِبٌ.

هذه الأمثال تعبير حي عن السلوكيات الخاطئة التي تنهش بنية المجتمع، كما هي دليل واضح
 تعيش مع الشخص مرات عديدة في يومه ويتسرب إلى دقائق وكبار حياته، تطرح وتناقش وتفسر.
 فالأمثال بمعالجتها لهذه المواضيع تكون قد قدمت سجلا شاملا عن ثقافة الإنسان الشعبي،
 واحتوت نظرتة إلى الحياة بكل صدق ووضوح.

ومن الكسل والطمع والنفاق إلى البخل والمكر، الخداع والحسد، العناد والاستهزاء وتحمل
 المسؤولية، الأصالة والمحبة.

- أمثال البخل:

الْقَرُوحُ مَا يَبِيضُ.
 حَيَّاطٌ أَوْ مَشْتَاتٌ أُمْسَلَةٌ.
 طَبَّاحٌ أَوْ شَاتِي مَرْقَةٌ.
 جَرَّازٌ وَعَشَاءٌ لَفْتُ.
 الْقَطُّ مَا إِمدِ الشَّخْمَةَ.
 فِي رَجُلِي وَلَا فِي صَبَاطِي لَحْمٌ.
 جَبِيؤُ فِي ظَهْرُو.
 الصَّدَقَةُ مَا تَخْرُجُ مِنْ الْحَبْسِ.
 أَخْدَمَ يَا الشَّقَايِي لِلْبَاقِي.

- أمثال المكر والخداع:

اللي حفر حفرة الحوّه طاح فيها.

إلّٰى بَاعَكَ بِالْفُؤْلِ بِيَعُهُ بِشُورِهِ.
 جَلُدُوا مَا تَقَرَّ فِيهِ دُبَاعَةٌ.
 الْحَادِغُ مَا وَاذَعُ.
 مَا يُعْجِبُكَ تُؤَارِ الدَّفْلَةَ فِي الْوِدَانِ ذَائِرٌ اضْلَائِلٌ، أَوْ مَا يُعْجِبُكَ زَيْنُ الطُّفْلَةِ حَتَّى أَنْشُوفَ
 لِفَعَائِلٍ.
 الرِّينُ أَوْ قُلْتُ اللَّيْنُ.

- أمثال الحسد:

الرَّجَالَةَ تَكْسِبُ، وَالتَّائِسُ تَحْسِبُ.
 عَانِدٌ إِلَّا تَحْسَدُ.

- أمثال العناد:

قَالَ الْعِظَمُ أَنَا يَا بَسْ، قَالَو الْكَلْبُ أَنَا فَرَعٌ أَشْعَلُ.
 مُعْزَةٌ وُلُو طَارَتْ.
 أَنْتِ اعْلِيكَ أَبْتَرَقَاقِ الْكِسْرَةِ، وَأَنَا اعْلِي بِالْمَاكَلَةِ مَرَّتَيْنِ.

- أمثال الاستهزاء:

الْمَذْبُوحَةَ تَضْحَكُ عَلَى الْمَسْلُوحَةِ أَوْ لَمُطْعَةَ تَضْحَكُ عَلَيْهِمْ فِي رُوحٍ.
 وَشٌ مِنْ كَرِشٍ تُوَلِّدُ الذَّرَارِي.
 قَدْ التَّمَلَّةُ أَوْ يُعْمَلُ عَمَلَةً.
 الطُّولُ وَالْجِنَاخُ.
 بُنْتُ السَّبْعُ تَبْكِي ، وَبُنْتُ الذَّيْبُ تَشْكُتُ فِيهَا.
 دُحَانُكَ عَمَّانِي وَطَعَامُكَ مَا حَانِي.
 الرَّاجِلُ مَحْجُوبٌ وَالْمَرَا تُنُوبُ.
 رَاخٌ لِبِلَادِ النُّسَا وَجَابٌ مَجُوزُ.
 رَاخٌ اجِيبُ فِي اخْتُو عَيْدُ عِنْدَهَا.
 رَاخٌ يَغْرَضُ بَاتُ.
 الْفُقُوسُ يَضْحَكُ عَلَى الْمَوْسُ.

- تَحْمَلُ الْمَسْؤُولِيَّةَ.

إلّٰى صَرَّ يَأْتُو يَدُهُ مَا بَاكَ.

عَقَدْتَهَا بِيَدَيْكَ، حَلُّهَا ابْسِيتُكَ.
ضَلَاةُ الْقِيَادِ الْجَمْعَةُ وَلُعْيَادُ.

أمثال - الأصالة.

مَا يَبْقَى فِي الْوَادِ غَيْرُ أَحْجَازِهِ.
كُلُّ طَيْرٍ يَلْقَى بَلْقَاهُ، وَكُلُّ مَاءٍ يَسْبُخُ فِي مَجْرَاهُ.
الْجَدِيدُ حَبِئٌ، وَالْقَدِيمُ لَا تَفْرَطُ فِيهِ.
ذَلِكَ الْعَرْفُ مِنْ ذِيكَ السَّجْرَةِ.

- أمثال المحبة.

إِلَيَّ انْحُبُّوا قَائِلُوا.
لِلْيَسِينِي يَنْطَعُ وَجِينِي.
حَجْرُهُ مِنْ عِنْدِ الْحَيْبِ تَقَاحَةٌ.
إِلَيَّ ابْقَاهُ قَلْبِي مَا يَأْكُلُ كَلْبِي.
الْحُبُّ يُطِيحُ عَلَى عُوْدٍ يَابَسٍ.
الْحُبُّ اَعْمَى.

الْيَّي حَبُّ لُعْسَلٍ يَصْبُرُ لْفَرِيضِ النَّحْلِ، وَالْيَّي حَبُّ الْوَرْدِ يَصْبُرُ لَشَوْكُو، وَالْيَّي حَبُّ الرِّينِ
يَصْبُرُ لُعْدَابُو.

كُلُّ شَيْءٍ السَّيْفِ إِلَّا الْحُبُّ الْكَيْفِ.
الْحُبُّ مِنْ الشَّوَارِبِ وَالْقَلْبُ هَارِبٌ.

يمكننا رصد عناصر النهج الأخلاقي من خلال الأمثال السابقة، وهي أمثال تدعو إلى قيم الجماعة و تكريس مثلهم، التي اعتادوا على سلوكها وممارستها. وبما أن المجتمع يرفض كل أشكال الانحراف، فإنه قد أنشأ أمثالا تدعو الناس دعوة مباشرة وبشكل صريح أن يعدلوا من سلوكياتهم، فوجهتهم نحو كثير من الأخلاقيات، من ذلك، القناعة، فعلى الإنسان أن يقنع ويرضى بما لديه، كثيرا كان أم قليلا. من هذه الأمثال نذكر:

الشُّعْبِرُ وَالرَّاحَةُ، وَلَا الْقَمْحُ أَوْلَفْصَاحَةٌ.
إِلَيَّ مَا أَشْبَعُ مِنْ الْقَصْعَةِ مَا يَشْبَعُ مِنْ لُجَيْسَهَا.
مَا تَطْلُقُ إِلَيَّ فِي يَدِكَ مَا اتَّبَعُ إِلَيَّ فِي الْعَارِ.
إِلَيَّ مَا أَكْفَاهُ قَبْرُو ايجي فَوْقُو أَوْشَعْدُ.

إِلَيَّ مَا شَبِعَ مِنَ اللَّحْمِ، مَا يُشْبَعُ مَنْ تَكَدَّادَ لِعَظْمِ.

دُورُوا فِي الْجَيْبِ خَيْرٌ مِنْ عَشْرَةِ فِي الْغَيْبِ.

على المرء أن يتجنب الطمع ويقنع بما لديه وذلك لأن (الّلي ما هو ليك إعيتيك) .

المثل الشعبي من حيث هو انعكاس طبيعي لحياة الإنسان، فهو لا يرددها كاللبغاء دوما هدف واضح أو سياسة مقصودة، ولكنه يدفع الناس إلى الخير، ويحذره من الالتجاء إلى الشر متبعا أسلوب الترغيب والترهيب، وأحيانا أسلوب النصح. ومن الأمثال الشعبية الدالة على ذلك نذكر:

إِلَيَّ فَاتُوا وَفُتُّهُ، مَا يَطْمَعُ فِي وَفْتِ النَّاسِ.

سَأَلَ امْجَرَّبَ أَوْ لَا تَسْأَلْ أَطْيِبَ، اسْأَلِ التَّغْلَبَ وَلَا تَسْأَلِ الدَّيْبَ.

إِلَيَّ طَاعَكَ طَبَعُوا، وَإِلَيَّ بَاعَكَ يَبِعُوا.

رَبِّي وَلَدَكَ عَلَى الرَّخَا وَالشَّدَّةِ.

بَاثِ اعْلَى غَيْضُ، أَوْ مَا تَبَاثُشْ عَلَى نُدَامَةِ.

إِلَيَّ عَيْنُوا فِي الْخُبْرِ الْحَامِي ابْكُرُوا.

دِيرِ الْخَيْرِ وَنَسَاةِ، أَدِيرِ الشَّرِّ وَتَفَكَّرُوا.

اعْمَلْ كِجَارَكَ، وَلَا حَوْلَ بَابِ دَارِكَ.

إِدِّي بَنْتُ النَّاسِ إِذَا مَا لَقَيْتُ لَهْنَا تَلَقَى لُخْلَاصِ.

الْبُسُ إِلَيَّ قَدَّكَ يُوَاتِيكَ.

الْبُسُ قَدَّكَ أَحَالَطُ نَدَّكَ وَتَبِعَ عَادَةَ بَابَاكَ وَجَدَّكَ.

حَوْضُ الطَّرِيقِ الصَّحِيحَةُ وَلَوْ دَارَتْ، أَحَوْضُ بَنْتُ الْعَمِّ وَلَوْ بَارَتْ.

فُصِّ اللَّحْمِ عَلَى الْمَفْصَلِ وَدِي بَنْتُ الْأَصْلِ.

طَلَّقِ الرَّادِيَةَ قَبْلَ مَا تَضْنِي، وَذَا ضَنَاكَ صَمْنَتْ مَضْرِبَهَا.

إِذَا دَخَلْتُ التِّجَارَةَ طَوَّلْ بِأَلْكَ، وَإِذَا دَخَلْتُ سُوقَ النِّسَاءِ زُدْ بِأَلْكَ.

شَوْفَ يَبُوتُهُمْ وَخُطْبُ بُوْتُهُمْ.

شَرِّ تَعْرِفُوا خَيْرٌ مِنْ خَيْرِ مَعْرِفُوشِ.

شِي النَّاسِ لِلنَّاسِ.

صَاحِبُ إِلَيَّ كَثْرَ مِثْلِكَ أَنَا سَبُّ إِلَيَّ قَلْ مِثْلِكَ.

هذه إذا جوانب نمطية من الأمثال الشعبية ذات الدلالات الاجتماعية التي تتم عن دينامية

المجتمعات وتطور حياة أفرادها، وهي أمثال متجددة بتجدد الحياة الاجتماعية.

ونحن نتحدث عن التطور والتجدد، نشير إلى ظاهرة توصف بالتناقض، كأن نجد المثل ونقيضه، مثل قولهم: دَمَكْ هُوَ هَمَكْ.

فهذا المثل يتناقض مع الأمثال الآتية:

خُوكْ خُوكْ لَا يَغْرُكْ صَاحِبُكَ.

خُويَا صَيِّدْ وَأَنَا تَنْبَعُو.

خُويَا وُلْدُ الكَلْبَةِ نُصَيِّبُو لَيْلَةَ الغَلْبَةِ.

خُوكْ يُمَضِّغُكَ أَمَا يَسْرُطُكَشْ.

الكَلْبُ مَا يَأْكُلُ خُوه.

بُنْتُ عَمَّكَ تُسْتُرْ هَمَّكَ.

الواقع أن هذا ليس تناقضا، بل تعبير عن تجارب مر بها الإنسان وخلدها أمثلة لا تزال تعيش بيننا. فالذي تأذى من أقرابه دون شك أنه سيقترن ذلك دون زيادة أو نقصان. وهذا من صميم وظائف الأمثال الشعبية، التي تكون إما لتقرير وتركيب سلوكات اجتماعية محمودة، أو لكشف ومعالجة عيوب متفشية بين أفراد المجتمع. فهي إذا تعبير صادق عن حقائق الحياة الاجتماعية في مختلف جوانبها.

إن الأمثال التي صنعتها الذاكرة الشعبية للمجتمع الجزائري بقيت تتزامن معه حتى وقتنا الحاضر بصورة حية، شكلت جانبا مهما من حياته، من حيث مسيرته السياسية والاجتماعية والثقافية، تراثا ومعاصرة إنها المرآة التي عكست عقليته، واتجاهاته وأخلاقه وتقاليده وحياته الاجتماعية، مما لانجده مسجلا في أي لون من ألوان المعرفة الأخرى. فالذي يتبحر في مكنون هذا الفن، يجد نفسه يعيش جزءا مهما من حياته ((ولعل هذا يفسر لنا استعمالنا الدائم للأمثال، على عكس الأنواع الشعبية الأخرى مثل الأسطورة والحكاية الشعبية والألغاز وغير ذلك. فالأمثال بالنسبة لنا عالم هادئ نركن إليه حينما نودّ أن نتجنب التفكير الطويل في نتائج تجربتنا))9.

وبما أن الأمثال قد استمدت مادتها من المجتمع نجدتها قد عكست قيمه ومعتقداته وطرحتها دستورا حكيميا يسترشد به، فهي مدرسة اجتماعية ترسم لأفراد المجتمع طريقا يتبعه دون إكراه أو تلقين. ويتضح من هذا أن هناك أساليب من التراث الشعبي يستطيع الإنسان بواسطتها التعبير عن نفسه، كما عن المجتمع. ويمكن لهذه الأساليب الحفاظ على قيمة استخدامها التي تحققت عبر المد الزمني. ويمكن لها أيضا أن تتخذ بعدا جديدا بمرور الزمن. وما من شك أن الأجيال الجديدة ستتعدها دستورا، ليس بسبب قيمة استخدامها الأصيلة، بل بسبب قيمتها الثقافية العامة. من هنا فلا حرج من أن نقول بأن

للأمثال الشعبية أهمية اجتماعية لا غنى عنها، فهو واحد من أشدّ الأسلحة فعالية في الصراع من أجل الحياة، وهو باق اليوم بسبب قيمته الاجتماعية غير المباشرة أكثر من قيمة سحره الجمالي المباشر. خلاصة القول، فإن الأمثال ترصد الظاهرة وتعالجها، لذا فهي من الوسائل الفعالة في المجتمع في توجيه الأفراد وتعريفهم بالقواعد السلوكية المستحبة التي ينبغي إتباعها، والقواعد السلوكية التي ينبغي الابتعاد عنها.

وبهذا البعد، تكون قد قدمت سجلا شاملا عن ثقافة الإنسان الشعبي، واحتوت نظرتة إلى الحياة بكلّ صدق ووضوح. والنظر في هذا السجل كشف عن حياة الناس على اختلاف نشاطهم وسلوكهم في تعاملهم وأخلاقهم، وكيف تولدت هذه العلاقات ومداها ودورها في تكوين أخلاقيات الناس. ومن هنا تتحدد الدلالات الاجتماعية للأمثال الشعبية. وإذا كان المؤرخ لا يقف عند دقائق الحياة الاجتماعية، والشاعر لا يذكر إلا جوانب خاصة من جوانب الحياة الاجتماعية، التي يراها هو دون أن يراها المجتمع. فإن الأمثال الشعبية، هي المعبر الروحي والمادي عن اهتمامات وانشغالات المجتمع. فهو ناقل لمصلحة وخبرة المجتمعات. وما من شك في أن الإفادة منه أمر محقق. وانطلاقا من كون الأمثال نتاج جماعي، فهو إذا يكشف عن جوهر شخصية خالقه. وهذه الكيفية يكون ربط الأدب بعلم الاجتماع ربطا عضويا وثيقا.

إنّ عالم الاجتماع بحاجة إلى العودة إلى الأمثال الشعبية كي يدرس ويحلل، ويكشف ويستكشف أحوال المجتمعات، ونوعية العلاقة التي كانت بين الأفراد. وإذا كان الأدب يقدم لعالم الاجتماع هذه الخدمة، فإن عالم الاجتماع يمكن أن يقدم خدمة للأدب في أنه يقدم له خلفية العناصر التاريخية والاجتماعية، وفي هذا المعنى يقول إيدانوف ((يجب أن ينظر إلى الأدب في علاقته غير المنفصلة عن حياة المجتمع، وفي خلفية العناصر التاريخية والاجتماعية التي تؤثر في الأدب. هذا كان دائما المبدأ الموجه في الأبحاث الأدبية السوفيتية وهو يرتكز على المنهج الماركسي -اللينيني في إدراك الحقيقة وتحليلها، ويستبعد وجهة النظر الذاتية والاعتباطية، التي تعتبر كل كتاب كيانا مستقلا ومنعزلا. فالأدب ظاهرة اجتماعية، هو الإدراك الحسي للحقيقة عبر المصورة الخلاقة))¹⁰ بهذه الدراسة نحسب أننا قد قدمنا جزءا من الجوانب المتعددة التي يمكن أن يكشفها المثل الشعبي لدلالته على العلاقة الاجتماعية بين الأفراد والجماعات.

الهوامش والمراجع والمصادر:

- 1- عبد الرحمان التكريتي..الأمثال البغدادية المقارنة، طبعة العاني، بغداد.قدمة الجزء الأول. 1966
- 2- حسين الجليلي.مجلة التراث الشعبي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد. العدد الحادي عشر، السنة الخامسة 1974 ص89.
- 3- أحمد أمين. قاموس العادات والتقاليد و التعبيرات المصرية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة. 1953ص61.
- 4- فوزي رسول. الحماسة في المثل الشعبي البغدادي، مجلة التراث الشعبي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد. العدد التاسع، السنة الحادية عشرة ، 1980ص14.
- 5- نبيلة إبراهيم. أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مكتبة غريب الفجالة. مصر ط3 ، ص175.
- 6- الكسندر كراب.علم الفولكلور. ترجمة رشدي صالح، دار الكاتب العربي للتأليف والنشر بالقاهرة، 1967 ص36.
- 7- أبو هلال العسكري. جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت.1976، نقلا عن عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية، دراسة تاريخية تحليلية، دار الفكر، دمشق.1988، ص257.
- 8- البخاري - محمد بن إسماعيل - الأدب المفرد (الجامع للآداب النبوية) ضبطه وأخرج أحاديثه الشيخ، عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت لبنان.ط2، 1999ص50.
- 9- نبيلة إبراهيم. أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مكتبة غريب، الفجالة. ط3 ص182.
- 10-قصي الحسين . السوسولوجيا والأدب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت. ص115